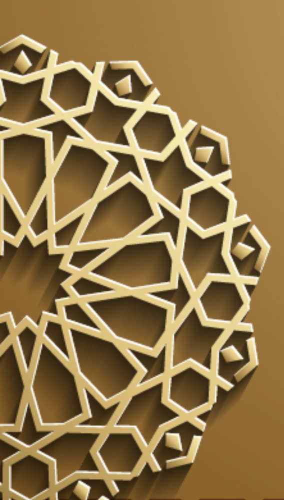


منهجية

التعريف بالله جل جلاله

في مشروع التعريف بالإسلام

جمع وإعداد

د. عبد الله بن محمد آل يحيى الغامدي

مهتم بالتعريف بالإسلام لغير المسلمين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد

تتمثل حقائق الإسلام العظمى في ثلاثة حقائق، وهي: الله عز وجل، والقرآن العظيم والنبي المرسل محمد بن عبدالله ﷺ .

وفي هذا المبحث سنعرض للحديث عن قضية عظيمة تعد الأبرز والأكثر أهمية في مشروع التعريف بالإسلام، وفيها يكون الخلل ضارا أكثر من غيره.

إن الحديث عن الله جل جلاله من أعظم وأجلّ ما يمكن للداعية الحديث عنه؛ فالله جل جلاله ليس معلومة مجردة وعبارة أدبية ولفظة تقال وحسب بل الحديث عن الله جل جلاله حديث الانطلاقة التي لا يسبقها حديث، والحقيقة التي نقدمها بلا تردد ولا خوف، ونقطة الالتقاء التي نقبل غيرها.

وسنركز القول في منهجية التعريف التي نقصد بها الأسلوب، أو الطريقة، وكذلك وسائل العرض التي سيستخدمها الداعية في عرض تلك الحقائق على المدعوِّين، والتي يجب أن تتخذ في توضيحها الترتيب العلمي في طريقة العرض، حتى وإن أخذت شكلًا أكثر بساطة من حيث المحتوى، فعلى الداعية أن يقوم بتوضيح التعريف اللغوي للحقيقة المراد توضيحها، ثم التعريف الاصطلاحي، ويختار تعريفًا جامعًا يطرحه على المدعوِّين، كما أن على الداعية أن يوضح ما يمكن أن يتداخل مع تلك الحقيقة من معان، وأن يوضح خصائص وصفات تلك الحقيقة العظمى للمدعوِّين.

وإن كان من أمر يوصى به الدعاة المعرّفون بالإسلام فهو العلم بالله حتى يخالط – ذاك العلم–شغاف قلوبهم فيعلمونه بعين البصيرة قبل عين البصر، ويتلذذون بالحديث والتعبير عنه؛ فلا يملون ترداد اسمه وصفته في كل لحظة وموقف.

يستشعرون معيته ونصرته وحفظه وتسديده وفضله وإحسانه وبره وتدبيره وتقديره، وينتظرون لذة النظر إلى وجهه الكريم في دار الجزاء والخلود.

الله جل جلاله

أولًا: الله جل جلاله «الرب»:

هو ربّ كلّ شيء، ومليكه، الخالق وحده، المدبر للكون كله، العالم بكل شيء، المحيي، المميت، الرزاق، القادر، المتصف بكل كمال، المتنزه من كل نقص وعيب، المستحق للعبادة وحده، قال الله عز وجل معرّفًا عباده بنفسه: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24)} [الحشر: 22-24].

وقال جلّ ثناؤه: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255)} [البقرة: 255].

وقال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (62)} [الحج: 62].

وقال: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)} [الإخلاص: 1-4].

ولله عز وجل أسماء كثيرة سمَّى بها نفسه، وقد ورد في الآيات السابقة شيء منها، والقرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة حافلان بذكر أسماء الله عز وجل.

وكل اسم من تلك الأسماء يتضمن صفة يتصف بها الله تبارك وتعالى [1].

وأشهر تلك الأسماء، وأعظمها، وأجلها هو اسم (الله).

ولهذا الاسم خصائص كثيرة، **منها ما يلي:**

1 – أنه اسم الله الأعظم: حيث ذكر ذلك جماعة من أهل العلم، وبيَّنوا أن الله هو الاسم الأعظم الذي إذا دعي به الرب أجاب، وإذا سئل به أعطى.

---

(1) ابن القيّم، «بدائع الفوائد»، د. ط، 159/1 -170، وابن عثيمين، «القواعد المثلى»، ط3، ص 37- 38.

2 – أن هذا الاسم هو الأصل لجميع أسماء الله الحسنى، وسائر الأسماء مضافة إليه، ويوصف بها، قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: 180].

وقال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8)} [طه: 8].

وقال تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24)} [الحشر: 22-24].

وأما معنى هذا الاسم: فأصله «الإله» وهو بمعنى: المعبود، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الله «ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين» رواه ابن جرير في تفسيره [(2)].

فقد جمع رضي الله عنه في هذا التفسير بين **أمرين**:

الأول: الوصف المتعلق بالله من هذا الاسم الكريم، وهو الألوهية، التي هي وصفه الدالُّ عليها لفظ «الله» كما دلَّ على العلم الذي هو وصفه لفظ «العليم» وكما دلَّ على العزة التي هي وصفه لفظ «العزيز» وكما دلَّ على الحكمة التي هي وصفه لفظ «الحكيم» وكما دلَّ على الرحمة التي هي وصفه لفظ «الرحيم» وغيرها من الأسماء الدالة على ما قام بالذات من مدلول صفاتها.

فكذلك الله هو ذو الألوهية، والألوهية هي الوصف العظيم الذي استحق أن يكون به إلهًا، بل استحق ألا يشاركه في هذا الوصف مشارك بوجهٍ من الوجوه.

وأوصاف الألوهية هي جميع أوصاف الكمال، وأوصاف الجلال، والعظمة، والجمال، وأوصاف الرحمة والبر والكرم والامتنان؛ فإن هذه الصفات هي التي يستحق أن يُؤْله ويعبد لأجلها؛ فيؤله لأن له أوصاف العظمة، والكبرياء، ويؤله لأنه المتفرد بالقيومية والربوبية والملك والسلطان، ويؤله لأنه المتفرد بالرحمة وإيصال النعم الظاهرة، والباطنة، إلى جميع خلقه، ويؤله لأنه المحيط بكل شيء علمًا وحكمًا وحكمةً، وإحسانًا، ورحمةً، وقدرةً، وعزةً، وقهرًا، ويؤله لأنه المتفرد بالغنى المطلق التام من جميع الوجوه، كما أن ما سواه مفتقر إليه على الدوام من جميع الوجوه، مفتقر إليه في إيجاده وتدبيره، مفتقر إليه في إمداده ورزقه، مفتقر إليه في حاجاته كلها،

---

(2) آل الشيخ، «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد»، ط1، ص 30.

مفتقر إليه في أعظم الحاجات، وأشد الضرورات، وهي افتقاره إلى عبادته وحده والتأله له وحده، فالألوهية تتضمن جميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا.

الثاني: الوصف المتعلق بالعبد من هذا الاسم، وهو العبودية، فالعباد يعبدونه ويألهونه، قال الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} [الزخرف: 84].

أي: يا أهل السماء، وأهل الأرض طوعًا وكرهًا، فكلهم خاضعون لعظمته، منقادون لإرادته ومشيئته، عانون لعزته وقيُّوميَّته.

وعباد الرحمن يؤلهونه، ويعبدونه، ويبذلون له مقدورهم من التأله القلبي والروحي والقولي والفعلي بحسب مقاماتهم، ومراتبهم، وقد جمع الله هذين المعنيين في عدة مواضع من القرآن، مثل قوله تعالى: {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)} [طه: 14].

وقوله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)} [الأنبياء: 25].

وقوله: {فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم: 65] [3].

ثانيًا: قدرة الله عز وجل:

القدرة صفة من صفات الله الثابتة له عز وجل، وهي القدرة التامة الكاملة على ما سيأتي بيانه.

ومن أسمائه تبارك وتعالى: القدير، والقادر، والمقتدر.

وجميع هذه الأسماء وردت في القرآن، وأكثرها ورودًا القدير ثم القادر ثم المقتدر، قال تعالى: {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: 284].

وقال تعالى: {إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (44)} [فاطر: 44].

وقال تعالى: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} [الأنعام: 65].

وقال تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (45)} [الكهف: 45].

---

(3) انظر: البدر، «فقه الأسماء الحسنى»، د. ط، ص 77 – 78.

وجميعها تدلُّ على ثبوت القدرة صفة لله، وأنه سبحانه كامل القدرة؛ فبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دَبَّرها، وبقدرته سوَّاها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئًا قاله له: كن، فيكون.

وبقدرته يقلِّب القلوب ويصرِّفها على ما يشاء ويريد، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويجعل المؤمن مؤمنًا، والكافر كافرًا، والبرَّ بَرًّا، والفاجر فاجرًا.

ولكمال قدرته لا يحيط أحدٌ بشيء من علمه إلا بما شاء أن يُعلِّمه إياه، ولكمال قدرته خلق السماوات، والأرض، وما بينهما في ستة أيام وما مسه من لغوب، لا يعجزه أحدٌ من خلقه ولا يفوته، بل هو في قبضته أين كان، الذي سلمتْ قدرته من اللغوب والتعب والإعياء والعجز عما يريد.

ولكمال قدرته كلُّ شيء طوْع أمره وتحت تدبيره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن (4).

ثالثًا: الله جل جلاله موجود:

يجب الاعتقاد الجازم بوجود الله، وأنه رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق وحده، المدبر للكون كله، وأنه هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، وأن كل معبود سواه فهو باطل، وعبادته باطلة، وأنه سبحانه متصفٌ بصفات الكمال، ونعوت الجلال، منزهٌ عن كل نقص وعيب (5).

ومن خلال ما مضى يتبين أن الإيمان بالله يتضمن **أمورًا أربعة**:

1 – الإيمان بوجود الله: وذلك باعتقاد وجوده وجودًا كاملًا لم يسبق بعدم، ولا ينتهي بفناء.

2 – الإيمان بربوبيته: وذلك باعتقاد انفراده عز وجل بأفعاله، وأنه لا شريك له في خلقه، وملكه، وتدبيره، وغير ذلك من مقتضيات الربوبية.

3 – الإيمان بأسمائه وصفاته: وذلك باعتقاد أن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى من غير تمثيلٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييف.

---

(4) البدر، «فقه الأسماء الحسنى»، د. ط، ص 217.

(5) الحكمي، «أعلام السُّنَّة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة»، ط2، ص 50.

4 – الإيمان بألوهيته: وذلك بإفراده عز وجل بأفعال العباد؛ فلا يُصْرفُ أيُّ نوعٍ من أنواع العبادة لغيره تبارك وتعالى.

رابعًا: وحدانية الله جل جلاله:

لقد دلَّ الشرع، والفطرة، والحس، والعقل، على وحدانية الله، وعلى تفرده بالخلق والرزق، وأنه وحده المستحق للعبادة.

1– دلالة الفطرة على وحدانية الله والإيمان به:

الفطرة في اللغة: هي الخِلْقة، قال ابن منظور: «وفَطَرَ الله الخلق يفطرهم: خلقهم، وبدأهم» [6].

وأما في الشرع: فهي الإسلام، على القول الراجح، كما رجح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى.

فالفطرة من أعظم البواعث على التدين، وأدلة الشرع نصَّت على أن الإنسان نفسه مفطور على الإقرار بالخالق، والعبودية له.

قال ابن القيم رحمه الله: «وذكروا عن عكرمة، ومجاهد، والحسن، وإبراهيم، والضحاك، وقتادة في قوله عز وجل: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30)} [الروم: 30]، قالوا: {فِطْرَةَ اللَّهِ}: دين الإسلام (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ): قالوا: لدين الله» [7].

فكل مخلوق قد فُطر على الإيمان بخالقه، وأنه عز وجل رب كل شيء وخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم.

ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه[8].

([6]) ابن منظور، «لسان العرب»، ط3، 56/5.

([7]) ابن القيّم، «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، د. ط، ص 572 – 573، وابن تيمية، «درء تعارض العقل والنقل»، 8 / 376.

([8]) ابن عثيمين، «رسائل في العقيدة»، د. ط، ص 11، والخلف، «دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية»، ط4، ص 27.

قال النبي ﷺ: «**ما من مولودٍ إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجسانه**» . وفي رواية: «**إلا على هذه الملة**» وفي رواية: «**إلا على الملة**» [9].

وفي حديث عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى في الحديث القدسي: (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم)**» [10].

ثم إن الإنسان مفطور على اللجوء إلى ربه تبارك وتعالى عند الشدائد، فإذا ما وقع الإنسان أي إنسان حتى الكافر الملحد في شدة، أو أحدق به خطر؛ فإن الخيالاتِ والأوهامَ تتطاير من ذهنه، ويبقى ما فُطِر عليه؛ ليصيح بأعلى صوته، ومن قرارة نفسه، وعميق قلبه، مناديًا ربه؛ لِيُفَرّج كربته وهمه، ويلجأ إليه وحده دون سواه.

وصدق الله تعالى إذ يقول: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (65)} [العنكبوت: 65].

وليس المراد بأنه يولد على الفطرة؛ أنه يولد عالمِا بأمور الإسلام؛ فالله سبحانه وتعالى: يقول: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا [النحل: 78].

وليس المراد أيضًا أنه يولد ساذجًا لا يعرف شركًا ولا توحيدًا؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**إلا ويولد على الملة**» وفي رواية: «**على هذه الملة**».

بل المراد: أن كل مولود يولد على محبته لفاطره، وإقراره له بربوبيته، وادعائه له بالعبودية، فلو خُلِّي وعدمَ المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية، والأشربة، فيشتهي اللبن الذي يناسبه ويغذيه [11].

ولذلك قال ﷺ: «**فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه**».

([9]) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلَّى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، 94/2، حديث رقم (1358)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، 2047/4، حديث رقم (2658).

([10]) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها»، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، 4/ 21997، حديث رقم (2865).

([11]) ابن القيّم، «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، د. ط، ص 578 – 579.

ولم يقل يأسلمانه؛ لأنه باقٍ على الأصل، فاعتناق غير الإسلام يعد خروجًا عن الأصل والقاعدةِ بأسباب خارجة.

فكل مولود إذًا على وجه الأرض يولد على الفطرة، وهي دين الإسلام؛ فالمولود يولد مقرًّا بخالقه، محبًّا له، متوجهًا إليه.

فإذا بقي على هذه الفطرة فهو مسلم على الأصل، ولا يحتاج إلى تجديد الدخول في الإسلام إذا بلغ وعقل.

وأما إذا نشأ بين أبوين غير مسلمين، واعتنق دينهما الباطل، أو كان معتنقًا أي دين غير الإسلام كان واجبًا عليه أن يتخلى عن دينه السابق، ويدخل في دين الإسلام؛ فيشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ثم يبدأ بتعلم ما يقيم به شعائر دينه من إقامة الصلاة ونحو ذلك.

وهكذا يتبيَّن أن الإسلام هو الفطرة التي فطر اللهُ الناسَ عليها، وأن الإنسان مفطورٌ على الإقرار بالخالق، والعبودية له؛ فهذا هو التدين، وذلك باعثه؛ وهذا مقتضى ما دلَّت عليه النصوص صراحة.

وللفطرة فوائد عديدة، منها:

أولًا: أن هذه الفطرة غرزت في النفس البشرية التدين والتعبد لله تعالى.

فإذا لم يهتد الإنسان إلى الله عز وجل فإنه يُعبِّدِ نفسه لأي معبود آخر، ليشبع بذلك نهمته إلى التدين، وذلك كمن استبد به الجوع فإنه إذا لم يجد الطعام الطيب الذي يناسبه؛ فإنه يتناول كل ما يمكن أكله، ولو كان خبيثًا ليسد به جوعته.

وهذا ما يفسر لنا وجود التدين عند عموم البشر وقد يكون الدين والمعبود في كثير من الأحيان باطلًا.

ثانيا: إن هذه الفطرة جعلت في جبلة الإنسان قبول العبودية والانسجام مع لوازمها، وهذا من الأمور المهمة للإنسان؛ لأن كل ما لا يتفق مع الفطرة فإن النفس تنفر منه ولا تستجيب لمتطلباته.

ثالثًا: إن هذه الفطرة مرجحة للحق، فإذا تعرف الإنسان على دينين حق وباطل، فإن الفطرة تميز بينهما وتميل إلى الحق، بل يقع ذلك في قرارة النفس ويتيقن القلب منه، فإما أن يعلن ذلك ويلتزم به، أو لا يستجيب له بسبب هوى، أو خوف، أو إلف وتقليد ونحو ذلك

من الصوارف عن الحق، كما قال عز وجل عن فرعون وقومه: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} [النمل: 14] .

رابعًا: إن هذه الفطرة تهب للمهتدي يقينًا بالحق الذي هو عليه وإن لم يكن عنده من الأدلة النظرية ما يهبه هذا اليقين، وهذا يفسر لنا والله أعلم عدم ترك المسلم لدينه رغبة عنه وما ذلك إلا لتناسبه مع فطرته، فيعطيه ذلك يقينًا بأنه الحق، وكذلك من اهتدى إلى الإسلام من ذوي الأديان الأخرى الباطلة، فإنه يتمسك به تمسك الغريق بحبل النجاة، وما ذلك إلا لتيقنه من أن هذا الدين هو الحق، لتناسبه وانسجامه مع الفطرة، والله أعلم [12].

2- دلالة العقل على وحدانية الله والإيمان بالله:

وأما دلالة العقل على وحدانية الله، والإيمان به؛ فلأن المخلوقات جميعها لا بد لها من مُوجِد وخالق؛ إذ لا يمكن أن توجِد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجَدَ صدفة؛ فهذه المخلوقات لا يمكن أن تُوجِد نفسها بنفسها؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه؛ لأنه قبل وجوده معدوم، فكيف يكون خالقًا؟

كذلك لا يمكن أن توجد صدفة؛ لأن كل حادث لا بد له من مُحدِثٍ، ولأن وجودها على هذا النظام المتسق البديع المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب والمسببات، وبين الكائنات بعضها مع بعض؛ يمنع منعًا باتًّا أن يكون وجودُها صدفةً[13].

أضف إلى ذلك ما تجده من افتقار المخلوق الشديد؛ فالافتقار وصف ذاتي للمخلوق ملازم له؛ مما يدلُّ على أنه لا بد من وجود خالق، كامل، غني عما سواه، وهو رب العالمين.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القاطع في سورة الطور، حيث قال: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35)} [الطور: 35].

يعني: أنهم لم يُخلقوا من غير خالقٍ، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى.

---

(12) الخلف، «دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية»، ط4، ص 30، 31.

(13) السعدي، «الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة»، ط1، ص 194، ابن عثيمين، «رسائل في العقيدة»، د. ط، ص 11 – 15.

ولهذا لما سمع جبير بن مطعم رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ قوله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35)} الآية، وكان يومئذٍ مشركًا قال: «كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي» [14].

ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى يحثُّ كثيرًا في كتابه على التعقل والتبصر، ولا أدل على ذلك من كثرة الآيات التي تُخْتَمُ بمثل قوله: {أفلا تعقلون} {لعلكم تعقلون}؛ لأن الإنسان إذا تذكر عرف الحق، وإذا تذكر خاف واتقى وانقاد.

ولهذا نجد أن العقلاء الجادين الباحثين عن الحق يصلون إليه، ويوفقون له.

ومما يؤكد ذلك أن كثيرًا من كبار المفكرين الغربيين اهتدوا إلى الحق بسبب إجالتهم أفكارَهم، وبحثهم عن الحق.

ومن نظر في كتاب: (الله يتجلى في عصر العلم) وقد كتبه ثلاثون من علماء الطبيعة والفلك ممن انتهت إليهم الرياسة في هذه الأمور ومثله كتاب: (كريسي موريسون) رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك: (الإنسان لا يقوم وحده) وترجم إلى العربية تحت عنوان: (العلم يدعو إلى الإيمان) يدرك أن العالِمَ الحقيقيَّ لا يكون إلا مؤمنًا، وأن العاميَّ لا يكون إلا مؤمنًا، وأن الإلحاد، والكفر، لا يكون إلا من أنصاف العلماء وأرباع العلماء؛ ممن تعلم قليلًا من العلم، وخسر بذلك الفطرة المؤمنة، ولم يصل إلى العلم الذي يدعو إلى الإيمان [15].

وبهذا يتبين أن العقل يدل على وحدانية الله عز وجل.

أما إذا أنكر العقل ذلك؛ فإن الخلل في العقل نفسه!

ومن هنا يتبيَّن لنا بطلان قول من قال: إن هذا الكون نشأ بالصدفة، أو أن الطبيعة هي الخالق؛ إن هذه الدعاوى ليست إلا مكابرةً، وعنادًا، لما هو متقرر بالمعقول والمنقول، فمن قال: إن هذا الكون نشأ عن طريق الصدفة يقال له: كيف نشأ هذا الكون الفسيح العظيم المتسق المتناسق عن طريق الصدفة؟!

---

(14) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ} [ق:39]، 140/6، حديث رقم (4854).

(15) انظر: نخبة من العلماء الأمريكيين، «الله يتجلّى في عصر العلم»، د. ط، وانظر: موريسون، «كتاب العلم يدعو للإيمان»، د. ط.

إن ما في هذا الكون يحكي أنه إيجاد موجد حكيم عليم خبير، لكن الإنسان ظلوم جهول {قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18)} [عبس: 17-18] [16].

أما القول بأن الطبيعة هي الخالق فتلك فرية عظيمة لا دليل عليها، وتهافتها واضحٌ بيِّن لا يحتاج إلى أي رد، بل إن تصور ذلك كافٍ في الرد على أصحابه [17].

ومن تلك الدعاوى نظرية (دارون) التي حاول أصحابها أن يعللوا بها وجود الأحياء، وتزعم هذه النظرية أن أصل الإنسان حيوان صغير نشأ من الماء، ثم أخذت البيئة تفرض عليه من التغييرات في تكوينه، مما أدى إلى نشوء صفات جديدة في هذا الكائن، وأخذت هذه الصفات المكتسبة تورَّث في الأبناء حتى تحول مجموع هذه الصفات الصغيرة الناشئة من البيئة عبر ملايين السنين إلى نشوء صفات كثيرة راقية جعلت ذلك المخلوق البدائي مخلوقًا أرقى، واستمر ذلك النشوء للصفات بفعل البيئة والارتقاء في المخلوقات حتى وصل إلى هذه المخلوقات التي انتهت بالإنسان.

هذا هو ملخص تلك النظرية، وعوارها وزيفها واضحٌ بيِّن [18].

وقد ثبت بطلانها حتى عند كثيرين ممن يقولون بها.

ومما يقال في ذلك: إنه على فرض صحتها فمن الذي أنشأ ذلك الحيوان الصغير؟ ومن الذي جعله يتطور حتى وصل إلى ما وصل إليه ؟!

3– دلالة الحس على وحدانية الله والإيمان به:

الحسُّ يدلُّ بوضوح على وحدانية الله سبحانه وتعالى، والأدلة على ذلك كثيرة جدًّا، **منها:**

أ – إجابة الدعوات:

ويُعْنى بها إجابة دعوات الملهوفين والمكروبين وغيرهم، ممن يدعون الله سبحانه وتعالى فيستجاب لهم، ويحصل مقصودهم.

---

(16) الأشقر، «العقيدة في الله»، ط12، ص 74 – 75.

(17) انظر: تفصيل ذلك في «العقيدة في الله»، ط12، ص 74–98، وأبو غنيمة، «العلم يتبرأ من نظرية دارون».

(18) الأشقر، «العقيدة في الله»، ص 79 – 92. ففيه تفصيل الرد على تلك الدعوى، وأبو غنيمة.

والأمثلة على ذلك لا تحصى ولا تحصر، سواء كان ذلك في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو في حق غيرهم.

ومن ذلك ما قاله الله سبحانه وتعالى عن نوح عليه السلام: {فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (10) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (11) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (12)} [القمر: 10-12]، وما قصه الله سبحانه عن يونس عليه السلام: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87)} [الأنبياء: 87] فاستجاب الله دعاءه، ونجَّاه من بطن الحوت.

وقال عن أيوب عليه السلام: {وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (41) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (42) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (43)} [ص: 41-43].

وفي «صحيح البخاري» عن أنس رضي الله عنه قال: (إن أعرابيًّا دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال: يا رسول الله هلك المال، وجاع العيال، فادع لنا، فرفع النبي ﷺ يديه، فدعا، فثار السحاب؛ كأمثال الجبال، فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته.

وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء، وغرق المال؛ فادع الله لنا، فرفع يديه وقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا**»، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت) [19].

وما زالت إجابة الداعين أمرًا مشهودًا إلى هذا اليوم لمن أتى بشرائط الإجابة، وكثيرًا ما نسمع أن الناس ذهبوا للاستسقاء وقبل أن يخرجوا من المسجد إذا هم يمطرون؛ فإجابة الدعاء دليل قاطع على وحدانية الله عز وجل.

ب-صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام:

---

(19) أخرجه البخاري في «صحيحه»، أبواب الاستسقاء، باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته، 32/2، حديث رقم (1033) ومسلم في «صحيحه»، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، 614/2، حديث رقم (897).

وهذا دليلٌ حسيٌّ واضح، فالرسل عليهم السلام هم أكمل البشر، وقد بلَّغوا عن الله رسالاته، وقد اصطفاهم الله، واختارهم من بين الخلق، وأيَّدهم بالآيات البينات، ونصرهم، وجعل الغلبة لهم، والدولة على أعدائهم.

فالإنسان إزاء الأنبياء لا يملك إلا أن يقطع بصدقهم؛ إذ إن دعوى النبوة أعظم الدعاوى، ولا يدعيها إلا أصدق الناس أو أكذبهم؛ فالأنبياء هم أصدق الناس على الإطلاق؛ فظهور المعجزات على أيديهم، وتأييد الله لهم، وخذلانه لأعدائهم، وما جبلوا عليه من كريم الخلال، وحميد الخصال، كل ذلك يدل على صدقهم، وبالتالي نعلم أنهم مبعوثون من عند الله، وأنه حق، وعبادته حق [20].

ج – دلالة الأنفس:

فلقد صوَّر الله الإنسان على أحسن صورة، وخَلَقَهُ في أحسن تقويم؛ كما قال سبحانه وتعالى: {وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ} [التغابن: 3]، وكما قال عز وجل: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)} [التين: 4].

ولو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه، وما فيها من عجائب صنع الله، ونظر ظاهره وما فيه من كمال خلقه، وأنه متميزٌ عن سائر الحيوانات، لأدرك أن وراء ذلك ربًّا خالقًا حكيمًا في خلقه، ولعلم أن هذا الخالق هو المنفرد بتدبير الإنسان وتصريفه [21].

يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تقرير هذا المعنى عند قوله تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7)} [الشمس: 7]: «وعلى كلٍّ فالنفس آيةٌ كبيرة من آيات الله التي يحق الإقسام بها؛ فإنها في غاية اللطف، والخفة، سريعة التنقل، والحركة، والتغير، والتأثر، والانفعالات النفسية من الهمة، والإرادة، والقصد، والحب، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثالٍ لا فائدة فيه، وتسويتُها على ما هي عليه آيةٌ من آيات الله العظيمة.

والمقصود: أن نفس الإنسان من أعظم الأدلة على وجود الله وحده، ومن ثم تفرده بالعبادة» [22].ومصداق ذلك قوله تعالى: (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ) [الذاريات: 21].

---

[20] آل الشيخ، كتاب «التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء المرسلين»، ط1، ص 199 – 202، وص 125 – 246.

[21] البدر، «الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة»، ط4، ص 70 – 72.

[22] «الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة»، ص 70 – 72.

د – هداية المخلوقات:

وهذا مشهدٌ من مشاهد الحس؛ الدالة على وحدانية الله عز وجل فلقد هدى الله الحيوان: ناطقه وبهيمه، وطيره، ودوابه، وفصيحه، وأعجمه، إلى ما فيه صلاحُ معاشه وحاله.

ويدخل تحت قوله تعالى: {رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)} [طه: 50]، من العجائب والغرائب ما لا يحيط به إلا الله عز وجل.

فَمَن الذي هدى الإنسان ساعة ولادته إلى التقام ثدي أمه؟ ومن الذي أودع فيه معرفة عملية الرضاع؟ تلك العملية الشاقة التي تتطلب انقباضاتٍ متواليةً من عضلات الوجه، واللسان، والعنق، وحركاتٍ متواصلةً للفك الأسفل، والتنفس من الأنف، كل ذلك يتم بهداية تامة، وبدون سبق علم أو تجربة، فمن الذي ألهمه ذلك؟ إنه: {رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)}.

ثم هدايته بعد أن يكبر إلى السعي في مصالحه من الضرب في الأرض، والسير فيها، كل ذلك من الهداية التامة العامة للمخلوقات.

وأما هداية الطير، والوحش، والدواب فحدِّث ولا حرج، فلقد هداها الله إلى الأفعال العجيبة التي يعجز عنها الإنسان.

وقد ذكر العلامة ابن القيم في كتابه: «شفاء العليل» أمورًا عجيبة من هذا القبيل.

وهذا كله من أدل الدلائل على الخالق لها سبحانه وتعالى وعلى إتقان صنعه، وعجيب تدبيره، ولطيف حكمته؛ فإن فيما أودعها من غرائب المعارف، وغوامض الحيل، وحسن التدبير، والتَّأتي لما تريده ما يستنطق الأفواه بالتسبيح، ويملأ القلوب من معرفته، ومعرفة حكته، وقدرته، وما يعلم به كل عاقل أن الله لم يَخْلُقْ عبثًا، ولم يَتْرك سدًى، وأن له حكمةً باهرةً، وآيةً ظاهرة، وبرهانًا قاطعًا، يدلُّ على أنه رب كلِّ شيءٍ ومليكُه، وأنه المتفرد بكل كمالٍ دون خلقهِ، وأنه على كل شيءٍ قدير، وبكل شيءٍ عليم.[23].

هـ– دلالة الآفاق:

فالآفاق يراها كل أحدٍ؛ العالم والجاهل، المؤمن والكافر، فلو تأمل الإنسان بعين البصيرة والتدبر والتفكر لأدرك عظمة مَنْ أنشأها، ولدعاه ذلك إلى عبادته وحده لا شريك له.

([23]) ابن القيّم، «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، د. ط، ص 147 – 164.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي عند قوله تعالى: {سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت: 53]: «وقد فعل تعالى فإنه أرى عباده من الآيات ما به تبيّن أنه الحق، ولكن الله هو الموفق للإيمان من شاء، الخاذل لمن يشاء» [24].

وقال رحمه الله: «كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات، وتغلغل فكره في بدائع الكائنات؛ علم أنها خلقت للحق بالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب براهين، ودلالات على جميع ما أخبر به عن نفسه ووحدانيته، وما أخبرت به الرسل عن اليوم الآخر، وأنها مدبرات، مسخرات، ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها، فتعرف أن العالم العلويَّ والسفلي كلَّهم إليه مفتقرون، وإليه صامدون، وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات، فلا إله إلا هو ولا رب سواه».

وقال: «فهذا خبره تعالى عن أمور مُسْتَقْبَلَةٍ أنه يُري عباده من الآيات والبراهين في الآفاق وفي الأنفس ما يدلهم على أن القرآن حق، والرسول حق، وما جاء به هو الحق»[25].

وفي كل عصرٍ من العصور يُطلع الله عباده على أمورٍ عظيمة في هذا الكون الفسيح.

وفي العصور المتأخرة ظهرت العديد من الاكتشافات والمخترعات والحقائق العلمية، ولا يزال الباحثون يكتشفون في كل يوم سرًّا من أسرار هذا الكون العظيم، مما جعلهم يقفون حائرين واجمين معترفين بالتقصير والعجز، وأن هناك عوالمَ أخرى مجهولة، وأخرى لم تُكتشف بعد.

وخلاصة القول في هذا: إن كل ما في الآفاق يدل دلالةً قاطعةً على وجود مدبر حكيم، رب عليم، مستحق للعبادة.

و – عبودية الكائنات:

فالله سبحانه قد خلق جميع الكائنات: إنسها، وجنها، وملائِكها، وحيوانها، وجمادها، ونباتها، وغيرها من الكائنات؛ لعبادته سبحانه وفطرها على توحيده، والاعتراف بألوهيته، والإقرار بفقرها وحاجتها وخضوعها وصمودِها له عز وجل.

---

(24) البدر، «الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة»، ط4، ص 72 – 73.

(25) «الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة»، ط4، ص 72 – 73.

فكل هذه الكائنات تقوم بعبادة الله عز وجل ولا يُخِلُّ بذلك إلا الإنسان المعاند الزائع عن شرع الله سبحانه وتعالى المخالف لنظام هذا الكون المحكم البديع؛ الذي ما قام إلا على عبودية الله تعالى.

هذا؛ وتختلف العبوديات من مخلوقٍ إلى مخلوق.

فمن تلك العبوديات: عبودية الإنس، فهي أشرفها وأفضلها.

وأشرف ما فيها عبوديةُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لربهم، وقيامهم بالدعوة والجهاد وغير ذلك، ثم عبودية أتباعهم وأتباع أتباعهم.

ومن ذلك: عبودية الملائكة، ومنها عبودية الجن وهذا ليس بمستغرب.

وأما الغريب حقًّا فهو عبودية الجمادات والحيوانات، التي يعتقد كثير من الناس أنها لا تعقل ولا تدرك، وليس لها أيُّ عبودية لله تعالى.

إن هذا الكون الواسع بما فيه من الكائنات كله يخضع لخالقه وبارئه، ويؤدي عبودية له سبحانه وتعالى، فلقد ثبتت لهذه الكائنات في الكتاب والسُّنَّة طاعاتٌ كثيرةٌ؛ كالسجود، والتسبيح، والصلاة، والاستغفار، والإسلام، والإشفاق، وغيرها [26].

فعن سجود هذه الكائنات يقول الله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ} [الحج:18].

وليس بالضرورة أن يكون هذا السجود مثل سجود الآدميين من المسلمين؛ فسجود كلِّ أحدٍ بحسبه.

وأما عن تسبيح الكائنات، فذلك كما في قوله تعالى: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (44)} [الإسراء: 44]. فالكائنات كلها تسبح خالقها، تسبيحًا لا نفقهه نحن البشر، وعدم معرفتنا به ليس دليلًا على نفيه؛ فلقد خص الله بعض خلقه بالاطلاع على تسبيح بعض الكائنات، وأفهمه تسبيحها كداود عليه السلام.

([26]) التوبي، «عبودية الكائنات لرب العالمين»، ط1، ص 234 – 245.

وأما صلاتُها فقد قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (41)} [النور: 41].

فكلها تصلي، وتسبح لله، وليس بالضرورة أن نفهم ذلك.

وأما عن استغفارها: ففي حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء**»[27].

وأما عن إسلامها لله تعالى فقد قال عز وجل: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83)} [آل عمران: 83].

إلى غير ذلك من العبوديات المتنوعة، التي لا يتسع المقام لذكرها [28].

ومن هنا يتبين لنا أن المخلوقاتِ مفتقرةٌ إلى الله سبحانه وتعالى: «وأن فقرَها وحاجتها إليه وصفٌ ذاتيٌّ لهذه الموجودات المخلوقة، كما أن الغنى وصف ذاتي للرب الخالق» [29].

فصمود الكائنات كلها وفقرها إلى الله يدل دلالة واضحة على وحدانيته سبحانه وتعالى.

ز – اختلاف الطعوم والألوان والروائح في النبات:

وهذا دليلٌ حسيٌّ على وحدانية الله؛ فالماء ينزل من السماء عديم اللونِ، والطعم، والرائحةِ، ينزل على الأرض الجرداء، ثم يَخْرُج بإذن الله من جَرَّاء ذلك نباتاتٌ مختلفة في اللون، والطعم، والرائحة، فبعضها حلو، وبعضها حامض، وبعضها مُرٌّ، وبعضها أخضرُ، وبعضها أصفرُ، وبعضها أسود.

بل إن النوع الواحد من بعض الثمار متنوع تنوعًا عجيبًا؛ ومن ذلك على سبيل المثال (العنب) فمنه جنات معروشات وغير معروشات، ومنه الحلو، ومنه الحامض، ومنه الحامض الحلو، ومنه الأخضر، ومنه الأحمر، ومنه الأسود، ومنه الطويل، ومنه المدور إلى غير ذلك. {وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الرعد: 4].

([27]) أخرجه ابن ماجه في «سننه»، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، 81/1، حديث رقم (223)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، 1079/2، رقم (6297).

([28]) ابن تيمية، «جامع الرسائل»، ط1، 1/1 – 45.

([29]) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى»، ط3، 9/2.

وقل مثل ذلك في النخل؛ فمنها ما يكون حلاوته بسرًا أكثر من حلاوته رطبًا والعكس، ومنه الأسود، ومنه الأصفر، ومنه الطويل، ومنه المدور، كل ذلك وهو يسقى بماءٍ واحد.

فمن الذي فضَّل بعضها على بعض في الأكل؟ ومن الذي أودعها هذه المزايا من الألوان والأطعمة؟

إنه الله الذي قال في كتابه الكريم: {وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (3) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (4) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (5)} [الأعلى: 3-5].

ح – اختلاف الألسن:

فنحن نرى اختلاف الألسن، واللغات، من شعبٍ إلى شعب، ومن إنسانٍ إلى إنسان، فمن الذي علَّم الإنسان البيان؟ ومن الذي يعلِّم تلك اللغات جميعًا، ويحصي ما يقولون فلا تختلط عليه؟ إنه الله الواحد الأحد؛ فاختلاف الألسن آية عظيمة تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى [30].

خامسا : مراتب الإيمان بالله:

والإيمان بالله سبحانه وتعالى له أربع مراتب؛ **وهي**:

الإيمان بوجوده، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته.

المرتبة الأولى وهي الإيمان بوجود الله تعالى؛ فإن العلماء استدلوا عليه بأربعة أنواع من الأدلة، وهي: العقل، والشرع، والفطرة، والحس، وسبق الحديث عنها.

المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالله عز وجل هي: الإيمان بربوبيته سبحانه وتعالى:

ومعنى الإيمان بالربوبية: الإيمان بأن الله وحده هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، مالك الملك، ومدبر الأمر.

المرتبة الثالثة: الإيمان بألوهية الله عز وجل:

ومعناه: الاعتقاد والإقرار بأن الله وحده هو المستحق للعبادة دون غيره؛ فكما خلق وحده يجب أن يُعبد وحده.

([30]) تفاصيل ذلك في الجزء الأول من: ابن القيّم، «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة».

المرتبة الرابعة: من مراتب الإيمان بالله عز وجل وهي: الإيمان بأسماء الله تعالى الحسنى، وصفاته العلا:

فالله سبحانه وتعالى ذات وكل ذات لا بدَّ لها من أسماء وصفات، وأسماء الله وصفاته توقيفية لا يجوز لأحد أن يُسمي الله تعالى أو يصفه إلا بما سمى الله به نفسه أو سماه به رسله، وكل ما سمى الله به نفسه، وجب الإيمان به من غير تمثيلٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ، ولا تحريفٍ وقوفًا عند قوله سبحانه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [سورة الشورى: 11].

والعقيدة الإسلامية تشمل الإيمان بكل ما جاء عن الله، وعن رسول الله ﷺ من الأخبار، والأحكام القطعية، والغيبيات، ونحو ذلك.

والإيمان بالله هو التصديق الجازم بوجود الله، وبأنه رب كل شيءٍ ومليكه، وأنه الخالق وحده، المدبر للكون كله، وأنه هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، وأنه متصفٌ بصفاتٌ الكمال والجلال، وأنه منزهٌ عن كل عيب، ونقص، ومماثلة للمخلوقين.

إنّ الركن الأوّل الأعظم من هذه الأركان – وهو الإيمان بالله تعالى – قد ضلّ فيه أقوام وأمم، حتى أقربهم عهدًا بهداية الرسل، وجاء القرآن فهدم معاقل هذه الوثنية وحصونها المشيدة في الأفكار والقلوب، وما كان ليتم هذا بإقامة برهانٍ عقلي أو عدة براهين على توحيد الله عز وجل؛ بل لا بدَّ فيه من دحض الشبهات، وتفصيل الحجج العقلية والعملية والمواعظ الخطابية بالعبارات المختلفة وضرب الأمثال.

لذلك كان أكثر المسائل تكرارًا في القرآن؛ مسألة توحيد الله عز وجل في ألوهيته بعبادته وحده، واعتقاد أنّ كلّ ما سواه من الموجودات سواء في كونهم ملكًا وعبيدًا له، لا يملكون من دونه نفعًا ولا ضرًّا لأحد، ولا لأنفسهم إلا فيما سخره من الأسباب المشتركة بين الخلق [31].

والإيمان بالله يتضمن أربع قضايا، هي: إن الله موجود بلا موجد، وأنه رب العالمين وأنه مالك الكون المتصرف فيه، وأنه الإله المعبود وحده، لا يعبد معه غيره[32].

([31]) الحسيني، «الوحي المحمدي»، ط1، ص 121 – 122.

([32]) الطنطاوي، «تعريف عام بدين الإسلام»، ط1، ص 53.

ويجب أن يعتقد العبد أن النفع والضر كله من الله وحده، فلا يطلب النفع إلا منه، تدعوه وحده، لا تدعو غيره، ولا تدعوه مع غيره، ولا تتخذ إليه وسيطًا، ولا تستعين إلا به أو بالأسباب التي جعلها طريقًا للنفع، مع الإقرار أنه هو النافع لا مجرّد السبب، وأن تخصه بالحب المطلق الدافع إلى الطاعة المطلقة، والخشية الدافعة إلى اجتناب ما نهى عنه [33].

ويجب على العبد الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه على لسان رسوله ﷺ من غير تحريفٍ ولا تعطيل، بل يعتقدُ أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا ينفي عنه ما وصف به نفسه ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يلحد في أسمائه وآياته، ولا يكيف ولا يمثل صفاته تعالى بصفات خلقه لأنه تعالى لا سمي له ولا كفؤ له، ولا ندَّ له، ولا يقاس بخلقه فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا [34].

ويجب عليه أن يؤمن بأن الله المالك لكل شيء، وربٌّ لكل شيء، والذي أحاط بعلمه كل شيء، ويقف المكلفون إزاءه على قدم المساواة، دون النظر إلى أجناسهم، أو لغاتهم أو أوطانهم أو أزمانهم [35].

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(33) «تعريف عام بدين الإسلام»، ط1، ص 78.

(34) الفارس، «أهداف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، ط1، ص 29.

(35) السعدي، «دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه»، ط1، 589/2.